مفهوم الحكاية الشعبية:

ويصطلح عليها أيضا بالقصة الشعبية، وهي من أهم مظاهر التعبير الأدبي الشعبي، وهي فن من فنون القول القديم توارثن عن طريق الرواية الشفاهية، ولا تملك راو محدد إذ أن لها رواة متعددون، ويمكننا أن نجزم بأنّه لا يوجد شعب لا يملك حكايات توارثها من\ قدم الأزمنة.

ويقابل مصطلح حكاية في اللغة الانجليزية **Legend** وفي اللغة الفرنسية يقابل كلمة **Conte** والتي تعني حرفيا خرافة، أما في اللغة العامية للمغرب العربي في جميع الدول التي تنتمي إليه فكلمة الحكاية الشعبية تقابل في الثقافة الشعبية كلمة **مْحَاجِيَة** ؛ حيث نردد عبارات: **حَاجِينِي، نْحَاجِي، حَاجِينِي يا جدي، حَاجَاتْنَا جدتي، مْحَاجِيَة، حَاجِيتَك مَاجِيتَك**... والمقصود منها حكاية خرافية أو شعبية من قديم الزمان.

عرفت الحكاية الشعبية منذ العصور القديمة، وكان الهدف منها التسلية والترفيه وملء الفراغ من خلال التجمعات والمناسبات، فقد كان هذا ظاهريا إما في حقيقة الأمر تعتبر الحكايات الشعبية بكل أنواعها تصويرا للواقع وتأصيلا لقيم إنسانية ومعرفية وأخلاقية.

وتعرف الباحثة في التراث الشعبي نبيلة ابراهيم الحكاية الشعبية بأنها نقل خبر حدث قديما عن طريق الرواية الشفوية من جيل إلى آخر، وهي عبارة عن خيال وخلق حر وإنتاج شعبي حول أحداث وشخوص ومواقع تاريخية.[22]

ويتفق معها محمد سعيدي عندما يرى بأنّ الحكاية هي محاولة استرجاع للأحداث بطريقة خاصة ممزوجة بالخيال والعجائب والخوارق، والذي تضفي على الحكاية طابع جمالي تؤثر في المتلقي والمستمع لهذه الحكاية نفسيا واجتماعيا وثقافيا.[23]

أما عبد الحميد بورايو فيرى بأن الحكاية الشعبية هي أثر قصصي ينتقل مشابهة أساسا <<فهو يروى في التجمعات الشعبية في البيت والحي والسوق والمقهى والدكان ومقام الولي وميدان العمل والمسجد إلخ... وينتقل بين فئات العمر المختلفة>>[24]، ويكون نثريا ويروي أحداثا خيالية لا يعتقد راويها ومتلقيها في حدوثها الفعلي، وتنسب عادة لبشر وحيوانات وكائنات خارقة تهدف للتسلية وتزجية الوقت والعبرة، ويؤكد الباحث بورايو على أنّ الحكاية الشعبية تعتبر شكلا قصصيا يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب.[25]

وطالما كانت هذه الحكايات محل اهتمام الطبقة الكادحة من الشعوب، أين أبدعت في سردها ضد الظلم والاضطهاد، حيث كان الراوي يتجه بفكرة نحو عالم الخيال لإحالة الأمور التي يعجز عن تحقيقها على أرض الواقع، فيحيلها إلى عالم الخيال وخاصة القضايا المتعلقة بالحرية والكرامة والعدل.[26]

فالحكاية هي ثمار ونتاج تأملات الشعوب وتجاربها الخاصة والعامة في الحياة اليومية، فهي بذلك مرتبطة بالضرورة بطبيعة النسق اللغوي الشعبي الشفهي.

وعرفت روزلين ليلى قريش القصة الشعبية كالآتي: <<أما القصة الشعبية المروية التي هي، في رأي أغلب الدارسين، أكثر دلالة على روح الشعب وأعماقه وأصدق تصويرا لأفكاره ومعتقداته الراسخة التي لم تنل حظها من العناية والتنقيب

والبحث، على الرغم من تاريخ أدبنا العربي الذي يحفل بالكثير الذي يؤكد دور الرواة وأهميتهم>>[27].

أما الباحث عبد الحميد يونس فيرى أنّ مصطلح الحكاية الشعبية فضفاض وواسع، حيث أنّه بالإمكان أن يستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم عبر الأجيال[28]، وهذا السرد لم يكن يخص جماعة دون الآخر أو تواجد في عصر دون عصر آخر، بل كان يشمل جميع العصور والأجيال وحقق بواسطة الإنسان الكثير من المواقف ورصد الجانب الكبير معارفه.

وعليه، ومما سبق نرى بأنّ معظم الباحثين في مجال الأدب الشعبي والحكاية الشعبية يتفقون على أنّ الحكاية الشعبية، توارثت منذ زمن قديم عبر الأجيال ومنقولة شفاهة، وهي نتاج تجارب، ومرتبطة بحياة الشعوب وممزوجة بالخيال والعجائب وهدفها التسلية وكذا العبرة.

<u>خصائص الحكاية الشعبية:</u>

تتميز الحكاية الشعبية عن الحكايات الأخرى بعدة خصائص، يمكننا تحديدها في النقاط الآتية:

- انتقلت شفاهة من جيل إلى جيل آخر منذ القدم، أي منذ البدايات الأولى للإنسان.
- تمثل الحكاية الشعبية الجماعة ليس لها راو معروف، حيث تنتقل من راو إلى آخر وكل راو له الحرية في تغيير صيغة الرواية بما يقتضيه ظروف بيئته ومناسبة روايتها.

- تتميز ببناء فني مميز يستعمله الراوي خلال سرد الأحداث، حيث يستعمل الإيجاز والكلام الموزون والسجع، وتتكرر فيها الصيغ من إيقاع مميز، أين يراعى فيها جذب انتباه المستمع للحكاية.
- الحرية في سرد الواقع ومزجه بالخيال والخوارق والعجائبية، فيمكن للراوي أن يخترع شخصيات وأسطورية.
- التباين والتناقض بين الشخصيات وخاصة البطلة منها، الفقير مقابل الغني، الجاهل مقابل المتعلم، الطيب مقابل الشرير...
- تضمين الأحداث، أقوال تحمل دلائل فلسفية وحكم ومواعظ بهدف أخذ العبرة والتربية والتهذيب، كما يمكنها أن تتضمن أبيات شعرية أو مقطوعات غنائية، أو ربما أقاويل، وأمثلة وألغاز.
- تتميز البدايات والنهايات للحكاية الشعبية من حكاية لأخرى، من خلال استعمال الراوي للحكاية، فغالبا ما يبدأ الراوي بأبيات شعرية أو كلام موزون أو حكمة أو مثل شعبي أ لغز.

أمثلة:

البداية:

*كانْ يا مَا كَانْ حَتَى لْحْبَقْ والسُوسَان، والمُلْكْ مَالْكُو الرَحمَان، ونْصَلِيوْ عَلى نْبِينَا العَدْنَان، ياسَادَة يا كِرَامْ...

*كَانْ يا مَا كَانْ يا سَادَة ويَا مَادَة يْدَلْنِي وَيْدَلْكُمْ لَطْرِيقْ الحَقْ الشْهَادَة...

*حَاجِيتَكْ مَاجِيتَكْ...

*كَانْ يَا ما كَانْ، الحْكَايَة تَدِينَا لَبْلادْ الحَقْ ولَمَانْ، هَذِي لَبْلاد نَاسْهَا من الأَجْوَاد، حَقْ لِيتِيمْ يَحْفْظُوه والفَقِير يْعَاوْنُوه مَا يَحْقْرُوهْ...

*كانْ يَا مَا كَانْ في قدِيمْ الزَّمَانْ، كَانْ الْخِيرْ فِي كُلّ مكَانْ، كَانْتْ الرّيشَة تقْهَرْ الْمِيزَانْ، وكَانْ الْأعْمَى يتخَطَّى الْحِيطَانْ وكَانْ الشّيخْ يَقْطَعْ الْوِيدَانْ، والْعَرْصَة (البُستان الصَّغير) كَانْتْ تغَذّي الْقبِيلَة وتْزِيدْ الْجِيرَانْ، كَانْ وكَانْ حَتَّى كَان

النهاية:

*وْهَذَا مَا سْمَعْنَا وهَذَا مَا قُلْنَا.

*وْهكْذَا حْكَايَتْنَا مْشَاتْ مْعَ الوَادْ، ورَاكُمْ فْهَمْتُوهَا يَا لْجْوَادْ

*هُومَا رَاحُو تِيسْ وحْنَا بْقِينَا نَاكْلُو فْ لرْفِيسْ

* وهَكْذَا عَاشتْ البلاَدْ، ومْشَاتْ حْكَايْتِي مِنْ وَادْ لوَادْ ومنْ بلَاد لبلادْ، يَحْكِيهَا الأجْدَادْ للصّبْيَان والأحْفَادْ